المحاضرة الرابعة

النقد عند الرافعي

يعد الرافعي علمًا من أعلام النقد العربي الحديث؛ ولد في مصر في قرية بهتيم (القليوبية) سنة 1880، وهو سوري الأصل من جهة الأب والأم. نشأ الرافعي في بيت علم ودين؛ فوالده كان قاضيا يمتلك مكتبة غنية بأمهات الكتب العربية، وعنه أخذ تعاليم الدين وحفظ شيئا من القرآن، واستوعب كثيرا من التراث العربي القديم، ولما بلغ السابعة عشر من عمره نال الشهادة الابتدائية (دخل في سن الحادية عشر)[1].

أصيب بمرض التيفوئيد، وأقعده هذا المرض أشهرا في البيت وكان من آثاره أن أصيب بحبسة في صوته ووقر في أذنيه أفقده السمع نهائيا في سن الثلاثين[2]، فحاول أن يعوض عن ذلك بالمطالعة المكثفة في مكتبة والده المليئة بكتب التاريخ واللغة والفلسفة والمنطق والتفسير والحديث، فأخذ يقرأ بنهم ويحصل بوعي وينقل بفهم ويناقش برأي[3].

ألف كثيرا من الكتب منها: تاريخ آداب العرب في ثلاثة أجزاء(الجزء الأول في اللغة وتاريخ روايتها، والجزء الثاني في إعجاز القرآن والجزء الثالث في تاريخ الخطاب والامثال والشعر) ، من وحي القلم، تحت راية القرآن (وفيه رد على كتاب طه حسين في الأدب الجاهلي)، على السفود (وهو كتاب يرد فيه على العقاد)، ديوان الرافعي (ثلاثة أجزاء) إلى غير ذلك.

اعتمد الرافعي في نقده على كتب الأدب القديمة من مثل البيان والتبيين والمثل السائر[4] وهو بذلك يميل إلى أصحاب الاتجاه الإحيائي الذين يحبون التراث العربي القديم ويسعون جاهدين للحفاظ على أصوله وجواهره وكان له جهد غير قليل في مجال النقد الأدبي ، وكان أول ما كتبه في هذا الصدد هو مقدمته للجزء الأول من ديوانه الذي أصدره سنة 1903م؛ وفيها تحدث عن معاني الشعر وفنونه ومذاهبه وأوليته كما عرف الشعر على أنه

---

[1] ينظر: حياة الرافعي: محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى، ط3، 1955، ص27-28.

[2] ينظر: الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد: مصطفى نعمان البدري، دار الجيل ، ط1، بيروت، 1411هـ 1991م، ، ص 106.

[3] تاريخ الأدب العربي في العصر الحاضر: إبراهيم علي أبو الخشب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 1978، ص 262.

[4] نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر: عز الدين الأمين، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1390هـ 1970م، ص123.

" أول الشعر اجتماع أسبابه، وإنما يرجع في ذلك إلى طبع صقلته الحكمة، وفكر جلا صفحته البيان فما الشعر إلا لسان القلب إذا خاطب القلب "[5] وقد حدد ميزان الشعر ومقياسه في قوله: " وأما ميزانه فاعمد إلى ما تريد نقده فرده إلى النثر فإن استطعت حذف شيء منه لا ينقص معناه أو كان في نثره أكمل منه منظوما فذلك الهذر بعينه... ولن يكون الشعر شعرا حتى تجد الكلمة من مطلعها لمقطعها مفرغة في قالب واحد من الإجادة"[6]

فنقده منصب على الجملة أو البيت في حشوه أو خلوه من الحشو، وفي الموازنة اللفظية بين نثر البيت وبينه منظوما، وفي جودة الكلام ورداءته[7].

وفي مقدمة الجزء الثاني من ديوانه يشترط في الشاعر رقة الحس وطبع النفس وصفاء الذهن وانتباه الخاطر وبعد النظر وقوة البديهة وحنكة التجارب وشمول الحكمة[8].

وقد تعرض فيها أيضا لمسألة السرقات الشعرية وقدم رأيه في ذلك بقوله : " إنه ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم ولكن عليهم أن يبرزوا ما أخذوه في معارض من تأليفهم ويؤدوه في غير حليته الأولى، ويزيدوا في حسن تأليفه وجودة تركيبه وكمال حليته ومعرضه. فإذا فعلوا ذلك فهم أولى بها ممن سبق إليها"[9].

وفي الجزء الثالث الذي صدر سنة 1906م، فقد كتب فيه عن جملة من القضايا النقدية التي تعد من أسس النقد الحديث، منها أنه يدعو للنظر إلى جوهر الشعر وروحه لا إلى قشوره وظواهره، كما يدعو إلى النظرة الشاملة عند الشعراء، فيذم الشعر المتكلف الذي يفرض فيه الفكر على العاطفة فلا تصدق العاطفة، ويذم كذلك التكلف الذي يأتي من

---

[5] ديوان الرافعي (الجزء الأول): مصطفى صادق الرافعي، شرح محمد كامل الرافعي، مطبعة الجامعة،1322 هـ الاسكندرية، ص3.

[6] ديوان الرافعي (الجزء الأول): الرافعي، ص 9.

[7] نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر: عز الدين الأمين، ص125.

[8] ينظر: ديوان الرافعي (الجزء الثاني): الرافعي، شرحه محمد كامل الرافعي، مطبعة الجامعة، 1322هـ، الاسكندرية، ص4.

[9] ديوان الرافعي (الجزء الثاني): الرافعي، ص 7.

عبادة الأوزان وتقليد القدماء في صورهم ومعانيهم.كما يريد الرافعي أن يكون الشعر تصويرا للطبيعة مؤثرا في سامعه[10] .

وعلى العموم يمكن إجمال أسس النقد عند الرافعي في ما يأتي[11]:

1. الشعر لسان القلب وترجمان النفس ينبغي أن يكون مؤثرا في سامعه يراعي الجوهر لا القشور يراعي تنويع القوافي والبحور كما ان الشاعر ينبغي ان يحتذي شعر فحول الاقدمين.
2. جودة الأدب بعامة تكون في نظرته الشاملة وتمثيله للطبيعة وتكون في حسن لفظه وفصاحته وفي نادر معناه ودقة تأليفه وخلوه من الحشو والابتذال والضعف والتقليد.
3. شخصية الأديب هي في تصويره لمذهب جماعته وطريقتهم في الادب على ان يتبع اسلوبه الخاص لأن الأسلوب صورة صادقة لنفسية صاحبه.
4. تقدير الناقد للأديب يجب أن يكون بناء على قيمة أدبه.

[10] ينظر: نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر: عز الدين الأمين، ص126.

[11] ينظر: المرجع نفسه، ص144- 145.